

دور السياحة في تحقيق التنمية المستدامة

د/قريد سمير، قسم علم الاجتماع جامعة 08 ماي 1945 قلالة

د/خشمون محمد، قسم علم الاجتماع جامعة باتنة 01

مقدمة:

يرى معظم المختصين والباحثين في علم اجتماع التنمية بالمشاركة أن موضوع السياحة في الجزائر ظل ينظر إليه لفترة طويلة من منظور اقتصادي وتجاري فقط، دون الالتفات إلى أهمية الجوانب الاجتماعية والثقافية والبيئية ودورها في ترشيد الفعل السياحي وتحقيق التنمية المستدامة التي تؤكد على أهمية تحقيق التنمية الاقتصادية دون اغفال متطلبات أجيال المستقبل.

وتمثل السياحة البيئية صناعة مستدامة منتجة وفعالة في النهوض بالاقتصاد البيئي لأنها تسهم من جهة في تعزيز النمو الاقتصادي وتقليل نسب البطالة، وتحفيز الاستثمار في مناطق الجذب السياحي، وتحقيق التوازن البيئي عند ممارسة النشاطات السياحية بما يسهم في زيادة الوعي البيئي لدى الأفراد من جهة أخرى.

وتبعا لذلك سنحاول في هذه الورقة تسليط الضوء على دور السياحة البيئية في تحقيق التنمية المستدامة من خلال مقارنة سوسيولوجية نتطرق فيها بداية إلى بعض المفاهيم مثل : السياحة البيئية، التنمية المستدامة، ثم نتعرض إلى دور السياحة البيئية في تحقيق التنمية المستدامة، والتي تتحقق - في تقديرنا - من خلال الموازنة بين البعد البيئي والتنموي، والاهتمام بالأبعاد الاجتماعية والثقافية والبيئية أثناء القيام بعملية التخطيط السياحي، ثم نتعرض أخيرا إلى تفعيل الثقافة البيئية من أجل تحقيق سياحة بيئية توازن بين التنمية وضرورتها وبين البيئة ومستلزمات بقائها وتطور مواردها، وكذا توعية الأفراد والجماعات والمؤسسات الفاعلة في القطاع السياحي وتحفيزهم للمساهمة في نشاطات حماية البيئة ومكافحة التلوث وإشعارهم بأهمية السياحة البيئية في التنمية المستدامة.

أولاً: تحديد المفاهيم

1- السياحة البيئية:

يعتبر مصطلح السياحة البيئية من المصطلحات الحديثة التي ظهرت منذ مطلع الثمانينات من القرن العشرين، ليعبر عن نمط جديد من النشاط السياحي الصديق للبيئة، الذي يمارسه الإنسان محافظا على الميراث الفطري الطبيعي والحضاري للبيئة التي يعيش فيها. وتمثل السياحة البيئية عملية تعلم وثقافة وتربية بمكونات البيئة، وبذلك فهي وسيلة لتعريف السياح بالبيئة والانخراط في حمايتها، من خلال الاستغلال الأمثل للمواقع السياحية من حيث دخول السياح

بأعداد متوازنة إلى المواقع السياحية على أن يكونوا على علم مسبق ومعرفة بأهمية المناطق السياحية والتعامل معها بشكل واع ومسؤول⁽¹⁾. كما تعرف السياحة البيئية بأنها السفر إلى المناطق الطبيعية المستقرة نسبيا لهدف محدد يتمثل في الدراسة، الإعجاب والاستمتاع بالمنظر الطبيعية ونباتاتها وحيواناتها البرية، بالإضافة إلى أية مظاهر ثقافية ناشئة موجودة في تلك المناطق⁽²⁾. يبدو أن السياحة البيئية بهذا المعنى يحكمها الوعي البيئي بأهمية الأماكن السياحية، من خلال الاستمتاع بالمنظر الطبيعية دون الاضرار بالبيئة الايكولوجية والاجتماعية والثقافية.

كما تستوجب السياحة البيئية ربط الاستثمار والمشاريع الانتاجية للمجتمع المحلي مع حماية البيئة والتنوع الحيوي والثقافي للمناطق السياحية، نحو إعداد برامج سياحية تعتمد على توجيه السياحة نحو المواقع المميزة بيئيا مع التأكيد على ممارسة سلوكيات سياحية إبداعية وسليمة، دون المساس بنوعية البيئة أو التأثير عليها⁽³⁾.

يظهر من خلال هذا التعريف أن العلاقة بين السياحة والبيئة متداخلة ومتبادلة، لأن نجاح المشاريع الاستثمارية في مجال السياحة يعتمد على تحقيق التنمية البيئية، أو التنمية المستدامة، بمعنى كيف يمكن توظيف البيئة من حولنا لكي تمثل نمطا من أنماط السياحة البيئية بمفهومها العام.

وتعرف السياحة البيئية حسب الصندوق العالمي للبيئة بأنها " السفر إلى مناطق طبيعية لم يلحق بها التلوث ولم يتعرض توازنها الطبيعي إلى الخلل، وذلك للاستمتاع بمناظرها ونباتاتها وحيواناتها البرية وتجليات حضارتها ماضيا وحاضرا، ويعتبر هذا النوع من السياحة هاما جدا للدول النامية، لكونه يمثل مصدرا للدخل، إضافة إلى دوره في الحفاظ على البيئة وترسيخ ثقافة وممارسات التنمية المستدامة" (4).

أما مواصفات السائح البيئي الذي يتمتع بدرجة من الوعي البيئي فتتمثل في مايلي:

أ. الحرص والالتزام عند التعامل مع مكونات البيئة الطبيعية النادرة في مناطق القصد الطبيعي.

ب. احترام البيئة الطبيعية والامتناع عن أي سلوك يؤدي إلى التقاطع مع مكونات البيئة وأساسياتها.

ت. احترام البيئة الثقافية والحضارية والتعامل معها بحذر.

ث. إبداء التقدير والاحترام للتقاليد والجوانب المجتمعية وخاصة المتعلقة بالموورث الحضاري والثقافي والطبيعي.

ج. عدم استغلال القدرات الطبيعية للسكان المحليين بأشكال وصيغ غير إنسانية أو غير شريفة.

ح. الامتناع القطعي بالمناجحة لكافة أنواع المواد المخدرة والمخطورة والمحددة الاستعمال (5).

وبالمجمل يمكن تعريف السياحة البيئية إجرائيا بأنها شكل من أشكال السياحة النظيفة والمفيدة التي تعتمد على التمتع بالمناظر الطبيعية، وتتطلب أن يتمتع السائح البيئي بقدر من الوعي والمسؤولية والثقافة والتربية لممارسة النشاطات السياحية دون الاضرار بالبيئة الايكولوجية والاجتماعية والثقافية.

2- التنمية المستدامة:

يعتبر مصطلح التنمية المستدامة من بين المصطلحات الحديثة التي ظهرت نتيجة الاهتمام بالبيئة والتنمية، "حيث تمت مناقشة ذلك في مؤتمر الأمم المتحدة الأول عن البيئة الإنسانية في استكهولم عام 1972، واستحدث مصطلح "التنمية البيئية" "eco-developpement" التي تراعي المحافظة على الموارد لأجيال المستقبل، ولعدم وضوح هذا المصطلح، تم استخدام مصطلح أكثر وضوحا هو التنمية مع المحافظة على البيئة، والمصطلحان يشيران إلى المعنى ذاته الذي يشير إليه مصطلح التنمية المستدامة أو المستدامة أو المتواصلة، أو المطردة أو القابلة للاستمرار، وهي مرادفات تستعمل في اللغة العربية لتدل على مصطلح "ustainable Development" مستخدم في اللغة الإنجليزية" (6).

ولقد برز المصطلح للمرة الأولى في تقرير الاتحاد العالمي للمحافظة على الموارد الطبيعية الصادرة عام 1981 تحت عنوان >>الاستراتيجية الدولية للمحافظة على البيئة<<، وكما جاء في التقرير هي " السعي الدائم لتطوير نوعية الحياة الإنسانية مع الأخذ بعين الاعتبار قدرات وإمكانيات النظام البيئي الذي يحتضن الحياة" (7). وبالتالي فإن هذا التقرير ركز على علاقة الإنسان بالبيئة، هذه العلاقة التي توجب على هذا الأخير إتباع سياسات رشيدة في التعامل مع البيئة من خلال عدم تلويثها واستنزاف مواردها الطبيعية، لأن استمرار البيئة تعني استمرار حياته.

وفي نفس الصدد يشير كل من مريم أحمد مصطفى وإحسان حفظي بأن " مصطلح الاستدامة يجب تحديده وتعريفه بعناية، فالموارد قد تستثمر طويلا عندما يتم الاستفادة منها، واستخدامها بطرق تتسم بالعقلانية والرشادة إلا أنها قد تنضب سريعا إذا ما تغيرت هذه الممارسات" (7). ويعتبر آخر فإن تحقيق الاستدامة مرتبط بتحسين السلوكيات، والتصرفات إزاء البيئة الطبيعية، من خلال استخدام العقلانية، والرشادة البيئية (ترشيد السلوكيات والممارسات في التعامل مع البيئة).

وفي سياق آخر عرفت التنمية المستدامة بأنها التنمية التي تقوم على تلبية حاجات الحاضر دون المساواة على قدرة الأجيال المقبلة في تلبية احتياجاتهم، كما أنها تقوم على تشجيع أنماط استهلاكية تحقق التوازن بين الأهداف البيئية والاقتصادية على المدى الطويل، وتجمع بين الإنتاج وحماية الموارد الطبيعية وتعزيزها، مع توفير أسباب العيش الملائمة للجميع بشكل عادل (8). والملاحظ في هذا التعريف هو التأكيد على أن التنمية المستدامة هي قضية أخلاقية وإنسانية قبل أن تكون قضية تنموية وبيئية تعتمد على المساهمة الفعلية من كافة أفراد المجتمع بإتباع سلوكيات تحافظ على البيئة وتضمن حق الأجيال اللاحقة في التمتع ببيئة نظيفة، وموارد متجددة، وهذا دون إغفال متطلبات الأجيال الحالية من هذه البيئة.

وفي سياق آخر حاول تقرير الموارد العالمية الذي نشر عام 1992، والذي خصص بأكمله لموضوع التنمية المستدامة، إجراء مسح شامل لأهم التعريفات التي خصت هذا المصطلح، وهي تعريفات تنوعت بين اقتصادية، وبيئية، وإنسانية، وثقافية، وأما القاسم المشترك بينهما فيتمثل في :

- يجب أولاً أن لا تتجاهل التنمية الضوابط والمحددات البيئية.

- ثانياً ألا تؤدي إلى دمار واستنزاف الموارد الطبيعية.

- ثالثاً تطوير الموارد البشرية.

- رابعاً إحداث تحولات في القاعدة الصناعية والثقافية السائدة⁽⁹⁾.

هذا ومن منظور سوسولوجي أيضاً، يرى الباحث ميشيل سيرينا بأنه حتى تتحقق التنمية المستدامة ينبغي توفر مجموعتين من العناصر على الأقل وتتمثل في : أولاً : تقدم مجموعة من المفاهيم التي تساعدنا في شرح العمل الاجتماعي، والعلاقات بين الأشخاص، والأشكال المعقدة لتنظيماتهم الاجتماعية، وترتيباتهم المؤسسية، والثقافة، والحوافز، والدوافع، والقيم التي تنظم سلوكهم الواحد إزاء الآخر، وإزاء الموارد الطبيعية. وثانياً: تقدم مجموعة من التقنيات الاجتماعية الكفيلة باستثارة العمل الاجتماعي المنسق، وكبح السلوك الضار، وتعزيز الترابط، وصياغة ترتيبات اجتماعية بديلة، والمساعدة على تنمية رأس المال الاجتماعي⁽¹⁰⁾.

تنزع التنمية المستدامة إذاً إلى التوفيق بين الإنسان والطبيعة والاقتصاد على مدى بعيد وعلى نطاق واسع، وإلى ضمان رخاء البشرية حاضراً ومستقبلاً، وذلك بتوفير فرص العيش في انسجام مع الطبيعة وخلق بيئة تمكينية يمكن أن يتمتع فيها جميع الناس بحياة طويلة وصحية ومبدعة⁽¹¹⁾.

وهكذا يمكن القول أن التنمية المستدامة هي عبارة عن مقاربة عامة تمس كافة النشاطات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، والتي تعمل على تغيير الممارسات وترشيدها، من خلال الاهتمام أكثر بالبيئة، وكذا تحقيق العدالة والمساواة بين أجيال الحاضر والمستقبل في الاستفادة من الموارد الطبيعية، وكذا تأكيد أهمية المشاركة الإيجابية لكافة الفاعلين الاجتماعيين في الحفاظ على البيئة وصيانتها من التلوث.

ثانياً- دور السياحة البيئية في تحقيق التنمية المستدامة:

إن العلاقة بين السياحة والبيئة هي علاقة توازن دقيق بين التنمية وحماية البيئة، ويؤكد إعلان مانايلا بشأن السياحة العالمية 1980 على أن الاحتياجات السياحية لا ينبغي أن تلجأ بطريقة تلحق الضرر بالمصالح الاجتماعية والاقتصادية لسكان المناطق السياحية، أو بالبيئة، أو بالموارد الطبيعية والمواقع التاريخية والثقافية، التي تعتبر عامل جذب رئيسية للسياح⁽¹²⁾.

وبالتالي شدد الإعلان على أهمية السياحة البيئية المستدامة في الحفاظ على الموارد الطبيعية والبيئية والثقافية، وإقامة توازن بين السياحة والبيئة، وبالتالي يعتبر التخطيط السياحي السليم يفي شروطاً أساسياً حتى تصبح السياحة البيئية نشاطاً إنمائياً قابلاً للاستمرار.

ونظراً لارتباط السياحة بالبيئة لاسيما البيئة الجاذبة ذات المقومات الاجتماعية والطبيعية والثقافية والحضارية، كان من الضروري- في تقديرنا- تبيان العلاقة التفاعلية بين البيئة والسياحة، وكذا أهداف السياحة البيئية المستدامة كما يلي:

1- العلاقة التفاعلية بين السياحة والبيئة:

شغلت العلاقة بين السياحة والبيئة العديد من الباحثين والمهتمين بعلوم البيئة وصناعة السياحة بما تتضمنه تلك العلاقة من آثار سلبية وإيجابية متبادلة أدت بدورها إلى ظهور أنماط مستحدثة من الأنشطة السياحية إلى جانب تنمية الوعي البيئي العام بالبيئة وأهمية الحفاظ عليها لدى المستثمرين في المجال السياحي، ومن هنا بدأت السياحة كصناعة تتجه نحو التصالح مع البيئة عن طريق استحداث أنماط من المنشآت السياحية يطلق عليها منشآت سياحية واعية بيئياً، ومن هنا اتجهت السياحة إلى تحقيق الإرضاء المتبادل لكل من السائح والبيئة نظراً لإدراك القائمين على النشاط السياحي من أن التدهور الذي يحدث بالبيئة يضر بالدرجة الأولى السياحة نفسها⁽¹³⁾.

وبالرغم من أن صناعة السياحة لا تلوث البيئة بسمومها، إلا أنها تحدث تأثيرات كبيرة على التنوع الحيوي في النظام البيئي الطبيعي وفي النظام الاجتماعي للبلدان المضيفة، وقد أدى توسع صناعة السياحة عالمياً إلى حدوث ضغوط على المناطق الطبيعية والحماية والتنوع

البيولوجي والمواقع الأثرية والمراكز الثقافية، كما أن مخاطر الآثار السلبية على القيم الثقافية والاجتماعية للمجتمعات المحلية تشكل مشكلات حقيقية ناتجة عن النشاط السياحي⁽¹⁴⁾.

وبالتالي فإن الأنشطة السياحية يمكن أن تكون لها آثار إيجابية أو سلبية على البيئة الطبيعية والعمرانية والاجتماعية والثقافية، وفيما يلي عرض لهذه التأثيرات:

أ- الآثار الإيجابية:

- من الممكن أن تكون السياحة عاملا بارزا في حماية البيئة الطبيعية عندما يتم تكييفها مع المجتمع المحلي، وذلك من خلال التخطيط والإدارة السليمة.
- تساعد السياحة المسؤولين بالمناطق السياحية بإنشاء المنتزهات مع العمل على المحافظة على البيئة وحمايتها.
- تعمل على تحقيق إدارة جيدة للنفايات للتخلص منها بشكل علمي سليم.
- تعمل السياحة في حالة نموها على رفع مستوى معيشة المجتمعات وتحسين نمط حياتهم، ورفع مستوى وعيهم بالتنمية السياحية.
- تتيح مشروعات التنمية السياحية توظيف المباني التراثية باستخدامات سياحية جديدة توفر دخلا يمكن استغلاله في ترميم وصيانة هذه المباني وحمايتها من التدهور.
- تلعب التنمية السياحية دورا أساسيا في التنمية الاقتصادية من خلال زيادة الدخل المادي وفرص الاستثمار، وخلق فرص عمل متعددة سواء في القطاع السياحي نفسه أو في القطاعات الأخرى المتأثرة بالنشاط السياحي⁽¹⁵⁾.

ب- الآثار السلبية:

- تدمير الموارد الطبيعية المحلية والمناظر الطبيعية، والتلوث البيئي.
- إعادة هيكلة البيئة العمرانية وتغيير استخدامات الأراضي عن طريق التوسع في إقامة المنشآت السياحية، واستبدال بعض الأنشطة والخدمات بأخرى سياحية دون مراعاة لطبيعة المنطقة التراثية.
- تدني كفاءة شبكات البنية الأساسية والخدمات الحيوية كالمياه والصرف الصحي، وذلك نتيجة تزايد معدلات الاستهلاك من قبل السياح بجانب السكان المحليين.
- فقدان الأنشطة الاقتصادية الأصلية للمنطقة وتدني فعاليتها، نتيجة اتجاه السكان المحليين للعمل بالسياحة وترك الأنشطة الاقتصادية الأخرى.
- تغييرات في أساليب الحياة والقيم المحلية والأنماط الثقافية.
- الصراعات الثقافية بين السياح والمجتمعات المحلية⁽¹⁶⁾.
- يمكن الإقرار بأن التوسع في صناعة السياحة يمكن أن يكون له آثار سلبية على البيئة الطبيعية والاجتماعية، كما أن نمو السياحة الغير متوازن والمهادف إلى تحقيق فوائد قصيرة الأمد، يدمر الأساس الذي تقوم عليه السياحة، وذلك بفعل الإفراط في استهلاك الموارد والتلوث، ولذلك دعا كثير من الباحثين إلى ضرورة تحسين العلاقة بين السياحة والبيئة كما يلي:
- أهداف اجتذاب السياحة للمنطقة يجب أن تستند إلى طاقة الاستيعاب للمواقع لتحقيق الاستدامة للبيئة وتكاملها مع التنمية الإقليمية والثقافة وما يتناسب استخدامات الأرض.
- القرارات يجب أن تستند إلى معلومات واقعية عن أوضاع البيئة والنواحي التي قد تتأثر بها، وأن تشمل تلك القرارات جمع المجالات بعد تقييم دقيق لأية أخطار محتملة مع النمو السياحي المتوقع.
- يجب تحديد مقاييس ومعايير مناسبة لمستويات التخطيط السياحي خاصة في فترة الذروة في الحركة السياحية، والأمور التي تتعلق بمعالجة الصرف الصحي وتصريف النفايات والمخلفات ومنع التلوث وغيرها.
- يجب تحديد الحوافز للقطاع العام والخاص لتشجيع السياح على القدوم خارج فترة الموسم أو فترات الركود بهدف تحقيق الاستخدام الأمثل لوسائل المبيت والتسهيلات السياحية.

- يجب وضع الاعتبارات البيئية في خطط التنمية السياحية، وخاصة في مجالات تحقيق نقاء الهواء والماء وحماية التربة والموارد الطبيعية والثقافية ونوعية المحيط البيئي⁽¹⁷⁾.

2- أبعاد التنمية السياحية المستدامة:

تعتبر التنمية السياحية المستدامة من أحدث المفاهيم السياحية، وتشمل مختلف البرامج التي تهدف إلى تحقيق التوسع المستمر المتوازن في الموارد السياحية، وزيادة الجودة وترشيد الإنتاجية في مختلف الخدمات السياحية، ويبدأ تنفيذها بعد دراسة علمية كاملة في إطار التخطيط المتكامل للتنمية الاجتماعية والاقتصادية والبيئية داخل الدولة ككل، أو داخل أي إقليم تتجمع فيه مقومات التنمية السياحية من عناصر جذب طبيعية وحضارية، تسند قاعدتها كاملة من البنية الأساسية من خلال التقدم العلمي والتكنولوجي، وربط كل ذلك بعناصر البيئة واستخدامات الطاقة الجديدة وتنمية مصادر الثروة البشرية للقيام بدورها الفعال في برامج التنمية، على ضوء طلب سياحي متنوع يتواءم ويتزامن مع تنمية العرض السياحي⁽¹⁸⁾.

والجدير بالذكر في هذا السياق أن السياحة البيئية تعتبر أحد أنواع السياحة القائمة على مبدأ الاستدامة السياحية حيث تعتمد على عناصر الطبيعة، ثم يليها العنصر الاجتماعي، فالعنصر الاقتصادي، وفي هذا الصدد يذكر المجلس الاقتصادي والاجتماعي سنة 2000 "أن التنمية السياحية المستدامة يجب أن تبنى على أساس إيكولوجي على المدى الطويل، وكذا على المستويين الاقتصادي والاجتماعي للمجتمعات المحلية"⁽¹⁹⁾.

وترتكز عمليات التنمية السياحية المستدامة على عدة أبعاد رئيسية تشكل منظومة تسعى للحفاظ على موارد البيئة الطبيعية، وعدم استنزافها أو إهدارها، وهذه المنظومة تأخذ في اعتبارها معيار التكلفة والعائد الاستثماري لها، وتغطي عدة جوانب طبيعية وبيئية واجتماعية واقتصادية⁽²⁰⁾، كما يلي:

أ- البعد البيئي:

إذا كانت الاستدامة تشتمل على الاستمرارية، فإن السياحة المستدامة في بعدها البيئي تتضمن الاستخدام الأمثل للموارد الطبيعية بما في ذلك مصادر التنوع الحيوي وتخفيف آثار السياحة على البيئة والثقافة، وتعظيم الفوائد من حماية البيئة والمجتمعات المحلية، وهي كذلك تحدد الهيكل التنظيمي المطلوب للوصول إلى هذه الأهداف⁽²¹⁾.

ويركز الباحثون في مجال السياحة البيئية في مقاربتهم للتنمية المستدامة على مفهوم الحدود البيئية التي تعني أن لكل نظام طبيعي حدوداً لا يمكن تجاوزها من الاستغلال، وأن إفراط استغلال هذه الموارد يعني تدهور النظام البيئي، والسبيل الوحيد لحماية النظام البيئي هو اتباع أنماط استهلاكية تضمن الحفاظ على بيئة نقية، وتستوفي المعايير الخاصة بحماية البيئة الطبيعية.

والجدير بالذكر في هذا السياق أن الإنسان في تفاعله مع محيطه البيئي يعيش في منظومة هائلة من القيم البيئية التي يجب أن يعيها ويستثمرها بالشكل الأمثل، لأنها تشكل مقومات هامة في الجذب السياحي، ولعل أهم عنصر تقوم عليه السياحة البيئية هو عدم الإخلال بالتوازن البيئي الناتجة عن تصرفات السائح⁽²²⁾.

ب- البعد الاقتصادي:

تتضح العلاقة بين الاقتصاد والسياحة البيئية من خلال اهتمام الاقتصاد بالبيئة وعناصرها، حيث يتحقق النمو السريع على حساب البيئة، إذا لم توضع السياسات البيئية السليمة موضع التطبيق، وتعتبر السياحة من أهم القطاعات الاقتصادية لدى كثير من الدول النامية، لأنها تعد أهم مصادر العملات الأجنبية، وما يتعلق بذلك من التخفيف من عجز ميزان المدفوعات⁽²³⁾.

ولذلك تبدو العلاقة وثيقة بين عناصر البيئة والنمو الاقتصادي من جهة، والسياحة ومحدداتها من جهة أخرى، بحيث تتركز سياسات التنمية الاقتصادية بصفة عامة على الإسهام في تحقيق التوازن البيئي، من خلال المحافظة على الموارد الطبيعية، بما يتماشى مع مستوى السياحة التي تحافظ على المخزون الكلي من رأس المال، ويضاعف من حالة عدم التفاوت في استخدام الموارد بين الأجيال، حيث قدمت المنظمات الدولية المساعدات من أجل الحفاظ على البيئة وتحقيق الأهداف المعتادة لمصلحة رأس المال الطبيعي والبشري، على سبيل المثال قدم الاتحاد

الأوروبي مساعدات مالية لبرنامج تنمية السياحة الإقليمية في المحيط الهادئ، وقد تضمنت هذه المساعدات إرشادات بيئية للتنمية السياحية⁽²⁴⁾.

ج- البعد الاجتماعي - الثقافي:

يتعلق البعد الاجتماعي والثقافي بالاستغلال الأمثل للموارد والامكانيات المتاحة بشكل فعال ومتوازن بيئيا واجتماعيا، بما يخدم مجالات التنمية السياحية المختلفة، وتحقيقا لاحتياجات السكان المحليين واحتياجات السياح بعدالة، وبدون إسراف أو إهدار لمكتسبات السكان المحليين⁽²⁵⁾.

وعليه يكون البعد الأهم للاستدامة الاجتماعية والثقافية في المجال السياحي كامنا في تحقيق الموازنة الاجتماعية بين حاجات السياح والمناطق السياحية المضيفة لهم، مع التأكيد على مشاركة أفراد المجتمع المحلي في التنمية السياحية، وصون قيمه وتقاليده الثقافية وهويته الاجتماعية وترسيخها، والحفاظ على البيئة الطبيعية.

وبالمجمل فإن التنمية السياحية المستدامة لها عدة أبعاد، فليس الهدف منها تحقيق عائد اقتصادي على حساب الموارد الطبيعية والمجتمع المحلي، ولكنها تراعي الظروف الاجتماعية والثقافية والبيئية للبلدان المضيفة، كما أنها تعمل على استغلال جميع الموارد المتاحة، سواء كانت اجتماعية، ثقافية، بيئية، طبيعية، وذلك لتحقيق عائد اقتصادي مع الحفاظ على هذه الموارد، مع التأكيد على أهمية دور الجمعيات المدنية وإشراك السكان المحليين في عملية التنمية السياحية المستدامة عن طريق التوعية والتدريب وإشراكهم في الأنشطة السياحية⁽²⁶⁾.

ثالثا- تفعيل الثقافة البيئية من أجل تحقيق سياحة بيئية مستدامة:

إن السياحة البيئية ذات التوازن ظاهرة جديدة تهدف إلى البحث والدراسة والتأمل في الطبيعة وتوفير الراحة للإنسان، فالميزة التي يتيحها تطبيق السياحة البيئية هي ربط الاستثمار والمشاريع الانتاجية للمجتمع المحلي مع حماية البيئة والتنوع الحيوي والثقافي للمناطق السياحية، وفق معادلة تنمية واحدة، وذلك عن طريق إعداد برامج سياحية تعتمد على توجيه السياحة نحو المواقع المميزة بيئيا مع التأكيد على ممارسة سلوكيات سياحية إبداعية دون المساس بنوعية البيئة أو التأثير عليها⁽²⁷⁾.

لذلك فإنه من الأهمية بمكان أن لا يكتفي بالنظر إلى مسألة السياحة من منظور اقتصادي وتجاري فقط، مع أن هذا المنظور للمسألة هام وأساسي، غير أنه لا بد من تناول المسألة أيضا من منظور اجتماعي وإنساني وأخلاقي، حتى يكتمل مفهوم السياحة البيئية من مختلف الزوايا والأبعاد، ذلك لأن السياحة ليست مجالا معزولا عن السلوكيات والحاجات البشرية، وأن محاولة الحديث عن المسألة بمعزل عن الهموم الإنسانية يؤدي إلى تسطيح مفهوم السياحة البيئية وإفقاره، الأمر الذي يؤكد أنه من غير الممكن تناول مسألة السياحة البيئية بصورة جدية وفاعلة، إلا من خلال منظور شامل ومتطور، ومنفتح، منظور يربط مستقبل الإنسان بمستقبل البيئة.

تبرز في هذا السياق أهمية تفعيل الثقافة البيئية من أجل تحقيق تنمية سياحية مستدامة، حيث "تسعى الثقافة البيئية إلى إحداث التغيير اللازم في طرق التفكير والسلوك البيئي عند السائح، وتنمية وعيه البيئي وخلق المعرفة البيئية الأساسية من أجل صيانة وحماية البيئة"⁽²⁸⁾.

كما أن نشر الثقافة البيئية تتطلب - في تقديرنا - تنمية الوعي السياحي (الثقافة السياحية) باعتباره "عاملا مؤثرا في السياحة وتطورها من جهة، والسائح والتأثير في نفسيته من جهة أخرى، ولذا فأغلب الدول التي تمتلك حركة سياحية تعد برامج وهيكلية عمل في معاملة السائح الوطني والأجنبي خاصة، لأن السائح الذي يزور منطقة معينة ينقل صورته وتطلعاته ومشاهداته ومعاملة الناس له إلى أفراد مجتمعه الأصل، فإذا كانت الصورة التي ينقلها جيدة ومعاملة الناس له لائقة سيشتجع الآخرون على الوفود إلى المنطقة أو البلد الذي زاره السائح"⁽²⁹⁾.

كما يمكن للثقافة البيئية أن تسهم في حماية البيئة وحفظ التنوع الإحيائي واستخدام الموارد الطبيعية بشكل مستدام، لأن دمج السكان المحليين وتثقيفهم بيئيا وسياحيا قد يزيد من وعيهم بقيمة الموارد البيئية والثقافية خاصة في المناطق التي تشكل أصولا هامة في تنمية السياحة⁽³⁰⁾.

وبالمجمل فإن تفعيل الثقافة البيئية من أجل تحقيق التنمية السياحية المستدامة تتطلب جملة من الاجراءات تتمثل في مايلي:

- 1- تفعيل الجهود اللازمة لمراعاة التنمية السياحية للموارد الطبيعية والحضارية في الجهات السياحية المقصودة وراثتها وسلامتها وكذلك احترام القيم الاجتماعية والثقافة للمجتمع.

- 2- رفع الوعي البيئي لدى جميع الوحدات المسؤولة عن تنمية السياحة بدءاً من إعلام السكان المحليين بالمنافع الناجمة عن تنمية السياحة المستدامة، وتوعية السياح بالبيئة والآثار الاجتماعية الناجمة عن سلوكهم بأسلوب يتسم بالمسؤولية، ومن جهة أخرى تشجيع المؤسسات والمشروعات التي تشكل قوام صناعة السياحة بأهمية الإدارة البيئية.
- 3- أهداف وسياسات التخطيط السياحي لا بد أن تتلاءم مع القيم الاجتماعية والثقافية السائدة في المجتمع خاصة البيئة منها.
- 4- العمل على تحفيز التوعية البيئية وتدريب وتعليم العاملين في قطاع السياحة بأهمية السلوك المستدام وسبل تحقيق أهدافه وتحسين تفهم منافع وتكاليف السياحة من الجوانب البيئية والثقافة والاقتصادية والاجتماعية.
- 5- تحفيز كل الفئات الاجتماعية للمشاركة في تنمية السياحة البيئية المستدامة، بحيث تضمن مشاركة المرأة والكبار والشباب وغيرهم في هذه التنمية.
- 6- تشجيع التغيير في أنماط سلوك المستهلكين في الدول التي يسافر منها السياح والدول التي يقصدها لتحقيق أهداف تنمية السياحة المستدامة.
- 7- زيادة وعي السياح بالآثار البيئية والاجتماعية المحتملة أثناء نشاطهم السياحي، وأهمية السلوك البيئي القائم على الإحساس بالمسؤولية⁽³¹⁾.

خاتمة:

لقد وجدنا من خلال هذه المقاربة السوسولوجية أن العلاقة بين السياحة البيئية والتنمية المستدامة هي علاقة تفاعلية، حيث تلعب السياحة البيئية دوراً لا يستهان به في مجال المحافظة على البيئة المحلية وتنشيط التجارة الداخلية وجلب العملة الصعبة للبلاد التي تكون فيها، خاصة إذا خطط لها بشكل علمي سليم، يضع في حسابه كل الاعتبارات الواجب أخذها كالمقومات الاجتماعية والطبيعية والثقافية والحضارية التي يكمن أن تكون عوامل جذب رئيسية للسياح.

إلا أن الأمر لا يخلو من بعض السلبات التي قد تجرّها السياحة على البيئة، خاصة إذا لم تكن عملية الاستغلال مدروسة كما ينبغي، فكم من المشروعات السياحية كانت سبباً رئيساً في تدمير الموارد الطبيعية المحلية، وتشويه المناظر الطبيعية، وإحداث التلوث البيئي، بدعوى أولوية المنفعة الاقتصادية، وكم من منشآت سياحية أدت إلى إعادة هيكلة البيئة العمرانية وتغيير استخدامات الأراضي، واستبدال بعض الأنشطة والخدمات بأخرى سياحية دون مراعاة لطبيعة المنطقة التراثية.

وهذا ما يستوجب ضرورة العمل على نشر الوعي وتنمية الثقافة البيئية، لدى عناصر السياحة الثلاث السائح والسكان المحلي والسلطات المحلية، فكل عنصر من هذه العناصر لا بد أن يعرف جيداً حدوده وحقوقه وواجباته تجاه الآخر وتجاه البيئة التي يتعامل معها، فالتنمية السياحية ليست عملية اقتصادية صرفية، بل هي عملية تثاقف حضاري وتلاقح قيمي واجتماعي قبل كل شيء، كما يجب أن تكون ذات بعد مستدام يحافظ على البيئة الطبيعية، ويحفظ حق الأجيال المقبلة في استغلالها والتمتع بجزائرها وفوائدها.

الهوامش:

- (1)- أحمد حسني رضوان وأحمد يحيى إسماعيل: السياحة البيئية المستدامة في مصر، المفاهيم- الفرص- الامكانيات ومقترحات الاستغلال. موقع الانترنت: (تم تصفح الموقع بتاريخ 2016/08/05).
- (2)- خان أحلام وزاوي صورية: <<السياحة البيئية وأثرها على التنمية في المناطق الريفية.>> مجلة أبحاث اقتصادية وإدارية الصادرة عن جامعة محمد خيضر بسكرة - الجزائر، العدد السابع، جوان 2010، ص 228.
- (3)- عايد راضي خنفر وإياد عبد الإله خنفر: <<تسويق السياحة البيئية والتنوع الحيوي.>> مجلة جامعة أسبوت للبحوث البيئية، المجلد 09، العدد الثاني، أكتوبر 2006، ص 55.
- (4)- المرجع نفسه، ص 58.
- (5)- سليم حميد سالم وطارق سلمان: <<الأصالة التفاعلية بين السياحة والبيئة المستدامة.>> المجلة العراقية لبحوث السوق وحماية المستهلك، مجلد 01، العدد الثاني، 2009، ص 91.
- (6)- أحمد يوسف الزغي: <<التنمية المستدامة في الأردن.>>، مجلة البيئة والتنمية، الصادرة ببلبنان عن شركة المنشورات التقنية المحدودة بالتعاون العلمي مع مركز الشرق الأوسط للتكنولوجيا الملائمة، العدد 26، ماي 2000، ص 15.
- (7)- مريم أحمد مصطفى وإحسان حفظي: قضايا التنمية في الدول النامية. الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2001، ص 134.

(8)- Christian BRODHAG : « Le développement durable et l'aménagement du territoire: les enjeux du débat actuel en France. » Dans: Aménagement du territoire et développement durable Quelle intermédiation?. Sous la direction d'Ali Sedjari. Paris: l'Harmattan, 1999, p 31.

(9)- عبد الخالق عبد الله : << التنمية المستدامة والعلاقة بين البيئة والتنمية >>، مجلة المستقبل العربي، الصادرة ببيروت عن مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 176، جانفي 1993، ص ص 99-100.

(10)- ميشيل سيرينا : << نظرة عالم الاجتماع إلى التنمية المستدامة >>، مجلة التمويل والتنمية، الصادرة عن صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي للإنشاء والتعمير، العدد 04، ديسمبر 1993، ص 11.

(11)- الدرويش الحبيب: دراسات في قضايا التنمية والتمكين والاندماج بتونس. تونس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة صفاقس، 2010، ص 100.

(12)- عايد راضي خنفر وإياد عبد الإله خنفر، مرجع سابق، ص 58.

(13)- ليلى محمد محمد خضير: تأثيرات المجتمعات المحلية على منشآت السياحة البيئية مع التركيز على معايير تصميم الفندق الفني. (رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الهندسة المعمارية، قسم الهندسة المعمارية، كلية الهندسة، جامعة عين شمس مصر)، إشراف: مراد عبد القادر عبد المحسن وآخرون، 2005، ص 24.

(14)- ريهام كامل الخضراوي: الحفاظ على التراث العمراني لتحقيق التنمية السياحية المستدامة من خلال مؤسسات المجتمع المدني - دراسة حالة واحة سيوه -. (رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التخطيط العمراني، قسم التخطيط والتصميم العمراني، كلية الهندسة، جامعة عين شمس، مصر)، إشراف: عمر محمد الحسيني وعمرو عبد الله عطيه، 2012، ص 56.

(15)- المرجع نفسه، ص ص 56-59.

(16)- المرجع نفسه، ص ص 57-59.

(17)- بوعموشة حميدة: دور القطاع السياحي في تمويل الاقتصاد الوطني لتحقيق التنمية المستدامة - دراسة حالة الجزائر -. (رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الاقتصاد الدولي والتنمية المستدامة، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة فرحات عباس سطيف - الجزائر)، إشراف: سعيد شوقي شكور، (2011-2012)، ص ص 69-70.

(18)- صلاح زين الدين: << دراسة لفرص وتحديات التنمية السياحية المستدامة في مصر >>، ورقة عمل مقدمة إلى المؤتمر العلمي الدولي الثالث حول القانون والسياحة. كلية الحقوق، جامعة طنطا، مصر، 26-27 أبريل 2016، ص ص 12-13.

(19)- هويدى عبد الجليل: << العلاقة التفاعلية بين السياحة البيئية والتنمية المستدامة >>، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، الصادرة بالجزائر عن جامعة الوادي، العدد 09، ديسمبر 2014، ص 222.

(20)- أسامة سعد خليل: التوازن البيئي والتنمية السياحية المستدامة (رؤية مستقبلية لإقليم البحر الأحمر)، موقع الإنترنت:

<http://furp.cu.edu.eg/urj2005/frup2005-sustainabeturism-3.pdf> (تم تصفح الموقع بتاريخ 2016/08/09)

(21)- سليم حميد سالم وطارق سلمان، مرجع سابق، ص 95.

(22)- خليف مصطفى غرايبة: السياحة البيئية (مع التركيز على الوطن العربي بشكل عام والأردن بشكل خاص). الكويت، دار ناشري للنشر الإلكتروني، 2012، ص ص 19-21.

(23)- زينب توفيق السيد عليوه: << تقييم أثر النشاط السياحي في النمو الاقتصادي في مصر >>، مجلة بحوث اقتصادية عربية، الصادرة ببلبنان عن مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع الجمعية العربية للبحوث الاقتصادية، 65، شتاء 2014، ص 75.

(24)- المرجع نفسه، ص 75.

(25)- أسامة سعد خليل، مرجع سابق، الموقع نفسه.

(26)- ريهام كامل الخضراوي، مرجع سابق، ص 62.

(27)- عايد راضي خنفر: السياحة والبيئة. موقع الأنترنت:

<http://www.greenline.com.kw/ArticleDetails.aspx?tp=326> (تم تصفح الموقع بتاريخ 2016/08/16).

(28)- سلام إبراهيم عطوف كبة: السياسة البيئية الوطنية قاعدة التنمية البشرية المستدامة. موقع الإنترنت:

<http://adhwa.net/wp-content/uploads/2016/02/السياسة-البيئية-الوطنية-قاعدة-التنمية-البشرية-المستدامة.pdf> (تم تصفح الموقع بتاريخ 2016/08/17)

(29)- وهاب فهد الياسري: << الوعي السياحي لدى طلبة المراحل الجامعية (كلية الآداب في جامعة الكوفة أمودجا) >>، مجلة كلية التربية الأساسية/ جامعة بابل، العدد 09، سبتمبر 2012، ص ص 259-260.

(30)- سيد فتحي أحمد الخولي: << تخطيط وتنمية السياحة المستدامة في الدول العربية >>، مجلة جامعة الملك عبد العزيز: الاقتصاد والإدارة، المجلد 14، العدد 01، 2000، ص 25.

(31)- المرجع نفسه، ص ص 26-33.

